سعد بن أبي وقاص



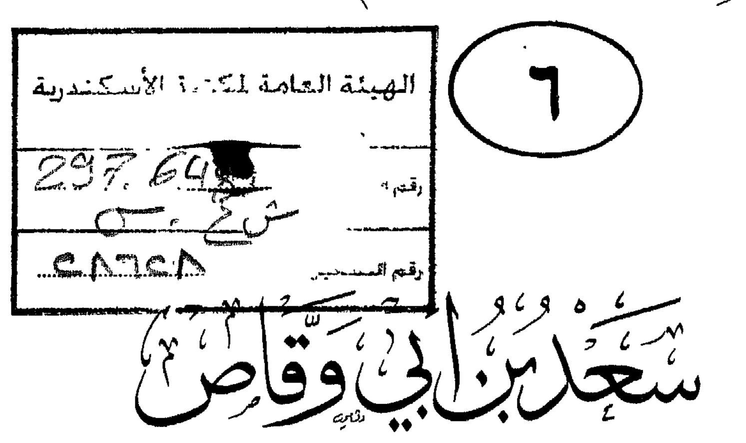
إعداد
حلمي علي شعبان

٦

أعمدة ... م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

سلسلة أعمدة الإسلام



٦

سعد بن أبي وقاص

إعداد

حلمي علي شعبان

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

يطلب من : دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب : ١١/٩٤٢٤ تلكس : Nasher 41245 Le
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

هذه السلسلة

بسم الله الرحمن الرحيم

«أعمدة الإسلام» سلسلة دينية تاريخية ثقافية. فيها أتناول سير شخصيات عظيمة في التاريخ الإسلامي ساهمت في توطيد دعائم الدين الحنيف وكان لها فضل في شرف السبق إلى الإسلام والاشتراك في ميادين الجهاد.

وهي مكتوبة بأسلوب قصصي مشوّق ومسندة بأحداث تاريخية مستقاة من مصادر أساسية في تكوين التاريخ الإسلامي.

ومهما كتب حول سير أولئك العظام، فإن كل جيل طالع من المسلمين بحاجة إلى معرفة تاريخه وكيفية انطلاق دينه في تلك السيرة المباركة التي قادها أشرف الخلق وسيد المرسلين محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

أما سيرة رسول الله ﷺ. فقد أُدرجت ضمن سلسلة «الأنبياء».

أسأل الله تعالى التوفيق.

وآمل أن تكون سيرة أبطالنا العظام خير معين لنا في حياتنا وحياة أولادنا وأحفادنا. فنكون خير خلف لخير سلف.

حلمي شعبان

سعد بن ابي وقاص

١ ـ اسمه

هو سعدُ بنِ أبي وقاص، بنِ أُهَيْب بن عبد مناف بنِ زهرة بنِ كلاب بنِ مُرَّةَ بنِ كعب بنِ لؤيٍّ بنِ غالبِ بنِ فهرِ بنِ مالكِ بنِ النضر بنِ كنانةَ القرشيُّ الزُّهريُّ. يكنى أبا إسحاق.

وأُمُّه حمنة بنت سفيان بن أمية بنِ عبد شمس، وقيل حمنة بنت أبي سفيان بنِ أمية.

٢ ـ شخصيته

كان سعد بن أبي وقاص شخصيةً فذةً قلَّما عَرَف التاريخُ مثيلاً لها.

فقد مَنحهُ اللَّهُ سبحانَه وتعالى، مظهراً رجولياً قوِيّاً، وروحاً صافيةً مؤمنة.

كانَ غليظَ الجسم، قصيرَ القامة، ضَخم الكفَّيْن أفطسَ الأنف، غزيرَ الشعرِ جعده.

وإلى ذلك المظهر الرجوليِّ القوي، حَمَل في صدرِه قلباً صافياً يدل على شفافيةِ روحه، ونُبْلِ أصْلِه، وحبّهِ لكلِ الناس بلا حقدٍ ولا ضغينة.

ومنذُ وعيهِ وقبلَ أن يبايعَ رسولَ اللَّه ﷺ، لم يكُنْ يميلُ إلى عبادة الأوثانِ، وكثرة اللّهو شأنَ شباب قريش. بل أمْضى معظَم أيامِهِ يَبْري النبال، ويحضِّر الأقوَاسَ، ويتمرَّنُ على الرماية، كأنَّهُ يحضِّرُ نفسَه لِمُهمّاتٍ عظيمة... حتى صارَ أعظم رامٍ في تاريخ الإسلام.

إسلامه

لم يكُنْ سعدُ بن أبي وقاص كما أسلَفْنا ميالاً إلى عبادةِ الأصنام والسجودِ للأوثانِ، والأنصاب التي يَصْنَعُها الانسانُ بنفسِه لا تنفع ولا تضر.

وما انْ سَمِع بدعوةِ محمدِ بن عبداللَّه، الرسول

الكـريمِ إلى الدين الجـديـد. . دين العـدل والحق. . حتى هَفـا قلبُـه إليــه وتَسلَّل النـورُ إلى روحــهِ يضيء جوارحَه. فقصَدَ النبيَّ ﷺ، وعلى يَديْه أشْهَرَ إسلامه.

فكـانت فرحتُـهُ به صلواتُ اللّهِ عليـه كبيرة. لأنَّ سعداً كان من بيت عزيزٍ من بيوتِ مكة، وفي إسلامه ما يدفَعُ غيْرَهُ من أهلِ مكة للاقتداءِ به، وتلبيـة دعوةِ اللّه سبحانَه وتعالى.

كما أَنَّ سعداً كانَ شاباً يافعاً في السابعة عَشرَةَ من عمره، يَخْتَزِنُ رجولةً وقوةً قلَّ نظيرُهما.

وهـو ثالثُ ثـلاثَـةٍ من الـرجـال، أو رابـعُ أَربعـةٍ أَسْلموا ـ فكان يفخَرُ بذلك ويقول:

ـ «ما أَسْلَم أحدٌ في اليـومِ الذي أَسْلَمْتُ فيـه. ولقـدْ مَكَثْتُ سبعـةَ أيـام، وإني لَثُلْثُ الإسـلام سـابـعُ سَبْعَة».

ولقد روى سعدٌ بنفسِه قصةَ إسلامه ومنها نَتبيَّن أنَّ الهدايةَ دخَلَتْ قَلبَهُ قبل أَنْ يُشهِرَ إسلامَه.

وفي قِصَّةِ إسلامه يقولُ سعدُ بن أبي وقاص:

ـ «رأَيْتُ في المنام قبلَ أنْ أُسْلِمَ بثلاثِ ليال كأنّي

غـارقٌ في ظلمـاتٍ بعضُهـا فـوقَ بعض. وبينمـا كنتُ أَتخبَّطُ في لُجَجِهـا، إذ أضاءَ لي قمـرٌ فاتَّبَعتُـهُ. فرأيْتُ نفراً أَمامي قد سبقوني إلى ذلك القمر. . . . . . .

رأَيْتُ زيْـدَ بن حارثة. وعليَّ بن أبي طـالب، وأبا بكر الصديق. فقلت لهم:

ـ منذ متى أنتُم ها هنا.

فقالوا

ـ الساعة.

ثم إني لمـا طَلَع عليَّ النهـار بلغَني أَنَّ رسـولَ اللَّه ﷺ يـدعو إلى الإِسلام مستخفياً. فعلِمْتُ أَنَّ اللَّه أَرادَ بي خيراً، وشاءَ أَنْ يُخـرِجني بسببهِ من الـظلمات إلى النور.

فمضَيْتُ إليهِ مسرعاً حتى لقيتُه في شعْبِ جياد[1] وقد صلى العصر. فـأسلَمْتُ فما تقـدَّمني سوى هؤلاء النفر الذين رأيتهم. . . ».

٤ ـ التجربة القاسية

ولم يمــرَّ إِسْـلامُ سعــد بن أَبي وقّـاص دون أَن

(١) شعب جياد: من شعاب مكة المكرمة وهو مكان فيها.

يُحدِثَ ضجةً كبيرةً في صفوف أهْل مكة. فهـذا الفتى الأغرّ القويُّ.. ابنُ الحسب والنَّسَب، يتـرُكُ دينَ آبائِهِ وأجدادِهِ، ويستَمِعُ إلى صوتِ الحق؟..

كيف يتجرَّأُ على ذلك؟

وغَضِبت والدتُه غضباً شديداً وحَزِنَتْ لدرجةِ أنَّها أقسَمَتْ ألَّا تَذوقَ الطَّعام طَالما سعد مسلم؛ ولم يَرْجِعْ عن إسلامه.

وكانت تلك الأم تَعرِفُ مدى شفافيةِ روح ابنها، ومدى تعلُّقِهِ بها وحُبّهِ لها واحترامِهِ إيَّاهـا. فلجأتْ إلى تلكَ الوسيلة لكي تَثْنِيَهُ وتَرُدَّهُ إلى عبادةِ الأَوْثان.

ولكنـه ثَبَتَ في موقِفِهِ، وتعلَّق بإيمـانِه، وعـرفَ قيمةَ الدينِ الجديد الذي أتى به رسولُ اللَّه ﷺ. مُنزَّلًا من اللَّه سبحانَهُ وتعالى.

ونَفَّـذَتْ أم سعـد قَسَمَهـا.. فَعَـافَت الـطَّعـام، ورفَضَت الشَّراب، وانزَوَتْ في غضبِها وحُزْنِها.

وطال صيامُهـا حتى شارفَتْ على المـوت. وبدأَ الأهلُ يمارِسونَ ضغطاً على الشّـاب المُؤمِن.. الشّاب الذي بَايَعَ الرسولَ ﷺ.. ولن يتراجَعَ عن بيعتِه تلْك.

ووجَد سعدُ بن أبي وقاص نفسَهُ في دوّامـةٍ هائلة من الصِّراع النفسي. .

أُمه من جهة. .

ودِينُه الجديد من جهةٍ أخرى. .

ولم يَصْعبْ عليه أنْ يختار، لأَنَّ النورَ الذي تسلَّل إلى قلبِهِ فَتَحَ بصَـرهُ وبصيرتَـهُ على الحقيقة ورفَضَ أن يَتَراجعَ. . .

ولمـا اشتدّ الضغطُ عليـه من أجْلِ أن يـراها. . وفي زَعْمِهم أنَّه قدْ يَرِقُّ قلبهُ لحالِها ويستجيبُ لطلبِها. . رضخَ لإلحاحِهِم.

وَجَاء إلَيْها. . فيا له من مشهد رائع مؤثر. .

لقـد تقابـل الإيمانُ الثـابتُ في نفسِ سعد مـع الشّركِ القابعِ في روح أمه. . وبَينَهُما عاطفـةُ الأمومـةِ الذاويةُ الضعيفة.

وماذا كانت النتيجة؟

لنتـرُكْ سعـد بن أبي وقـاص يَصِفُ لنـا ذلـك الموقِف، وَتجرِبَتَه القاسِيةَ في موقفٍ لم يوضَعْ به أحدٌ من الرجالِ قبلَه.

قال:

ـ «... ما انْ سمِعَتْ أمي بِخَبرِ إسلامي حتى ثَارَتْ ثائِرَتُها وكنتُ فتىً بَراً بها، محباً لها، فأَقبلَتْ عليَّ تقول:

ـ يا سعد... ما هذا الدين الذي اعتَنَقْتَهُ فَصَرَفَكَ عَنْ دين أُمِّكَ وأبيك.. واللّه لَتَدَعَنَّ دينكَ الجديد أو لا آكل ولا أَشْرب حتى أموت... فيتفطّر فؤادُكَ حزناً عليَّ، ويأكلُك النّدمُ على فِعلَتِكَ التي فَعَلت. وَيُعَيِّرُكَ الناسُ أَبَد الدهر.

فقلت:

لا تَفْعلي يا أماه. فأنا لا أدَعُ ديني لأَي شيء.

لكنَّها مضَتْ في وعيدها فاجتَنَبَت الطّعَام والشراب، ومكَثَتْ أياماً على ذلكَ لا تأكلُ ولا تشرَب، فَهَزُلَ جسمُها، وَوَهَنَ عظمُها، وخارَتْ قواها.

فجعَلتُ آتيها ساعة بعد ساعة أَسألُها أَنْ تَتَبَلَّغَ بشيءٍ من طعام أو قليل من شراب، فَتأْبى ذلك أشدَّ الإباء، وتُقسِمُ أَلّا تأكُلَ أو تشربَ حتى تموتَ أو أَدَعَ ديني.

وعند ذلك قلت لها:

ـ يا أماه. . إني على شديدِ حبي لكِ لأَشَدُّ حباً للّه ورسولِه. . . ووالله لو كانَ لكِ أَلْفُ نفس فَخَرَجَتْ منك نَفْساً بعدَ نَفْسٍ ما تركتُ ديني هذا لِشيْء.

فلما رأت الجدَّ مني أذعنَتْ للأمرِ وأكَلَتْ وَشَرِبَتْ على كُرْهٍ منها. . .».

وكرَّم اللّه سبحانَـهُ وتعالى سعـداً لموقِفِـهِ ذلك. وأنزلَ فيه وفي أهلِه آيةً يقولُ فيها.

﴿وإن جاهداك على أنْ تُشرِك بي ما ليس لكَ به علمٌ، فلا تُطعْهُما وصاحِبْهُما في الدنيا معروفـاً. واتَّبعْ سبيلَ من أنابَ إليَّ، ثم إليّ مرجِعكُم فأنَبِّئُكُمْ بما كنتم تعملون﴾.

وتأثَّر بعضُ شبابِ مكةَ وفتيـانِها بـإسلامِ سعـد. فاندَفعوا يُشهِرون إسلامَهم بِصِدْقٍ وحماس.

ولعـلَّ قصة عميـر بن أبي وقاص، شقيقِ سعـد، يومَ بدر، خيرُ دليلٍ على قوةِ إيمانِ المسلمين الأوائِـل ومدى تعلّقِهم برسالةِ النبيّ ﷺ.

ففي يوم بدر استعدَّ المسلمون للقاءِ كفارِ قـريش ومشركيهم. وتمَّ الاستنفارُ في جميع الصفوف. فقريش بكلِ جبابِرَتِها وسادَتِها وعظمائِها استعدَّت للمعركة.

والمسلمون وعلى رأسِهم رسولُ اللَّه ﷺ تجنَّدوا للمعركةِ بسلاحِ الإسلام واندفاعِ الإيمان، ووهب النَّفْسِ حتى التَّضحيةِ والشهادةِ في سبيل اللَّه جلَّ وعلا.

وكان من عادة الرسولِ الأعظم أَنْ يتفقَّد المسلمينَ قبل المعركة في عَرْضٍ أَخيرٍ ليزَوِّدَهم بالنصحِ والإرشادِ والملاحظات.

وكانَ عمير بن أبي وقاص شقيقُ سعد صغيرَ السِّنّ لا يكادُ يتجاوَزُ الرابعة عشرةَ من عمره، يَقِفُ بين صفوفِ المسلمين. وعندما شاهدَ رسولَ اللَّه ﷺ مقبلاً يَعرِضُ المجاهدين توارى خَشْيَة أن يردَّه الرسولُ صلواتُ اللَّه عليه وسلامُهُ عن المعركة لصِغر سنه. لكنَّ الرسولَ الكريم أَبْصَره فاستدعاهُ ثم طَلَبَ إليه العودَة وعدمَ الاشتراك بالقتال.

فصَعُبَ عَلَى الفتى المؤمِن أَنْ يُحرَم شَرَفَ الجهادِ في سبيلِ اللَّه، ولو كانَ صغيرَ السن. فأخذ يبكي ويتوسَّل حتى رقَّ لهُ قلبُ الرسولِ ﷺ فأَذِنَ له بالجهاد.

ففرح عمير بذلك فرحاً عظيماً، وشارَكهُ فرحته الكبرى شقيقُه سعد الذي وضع عليه بعض سلاحِه

يَحمِلُه لـه لأَنَّه صغيـر السن، ولا يستطيـعُ استعمالـه. وانطلق المسلمون ومعهم الشقيقـان سعد وعميـر لقتال المشركين.

واحتـدَمَت المعركـة ونَصَر اللّهُ سبحـانَـه وتعـالى المسلمينَ نصراً مبيناً. ولَحِقَتْ بقريشٍ ومشركيها هزيمةٌ قاسية . . .

وعندما انجَلى غبارُ المعركة كان عمير بين شهداء المسلمين فعاد سعد وحده بعد أَنْ خلَّف شقيقه الصغير عمير بن أبي وقاص ينعَمُ بشهادتِه على أرضِ بدر.

٦ ـ خال الرسول

بلغ سعـدُ بن أبي وقاص في نفسِ الـرسول ﷺ منزلةً عظيمة. وهو يرتَبِطُ به برباطَيْن أساسيين:

ربـاط الدين وهـوَ أَقوى ربـاطٍ يشدُّ إنسـاناً نحـوَ إنسان. فقد نَطَقَ سعدُ بالشهادة، وآمنَ بـوحدانيَّـةِ اللّه تبارك وتعالى، وبِصدْق الرسول ﷺ في دعوته. وبايَعَـه بيعةً لم يَرْوِ التاريخُ أوثَق منها.

وربـاط عـائلي زادَ الصِّلة تمـاسكـاً وتقـاربـاً

وإخلاصاً، فجدُّ سعد بن أبي وقاص وهو أُهَيْبُ بن مناف كانَ عمَّ السيدة آمنة بنتِ وهب أمِ رسولِ اللَّه ﷺ.

وكم كان النبيُّ الكريم يفرَحُ لتلك الصلة.

ورُوِيَ عنه أنَّه كان بين نفرٍ من الصحابة عندَما أَقْدَمَ عليه سعد فحيّاه وداعبَه قائلاً.

ـ هذا خالي.. فليُرِني امرؤٌ خالَه.

وفي ذلك القول الكريم ما يدلُّ على اعتزازِ الرسولِ بسعد وبشدةِ حبه له وتقريبِه إياهُ من نفسِه.

ولم يكن سعد بعيداً عن النَّبي الكريم أبداً. فهو دائمُ الحضورِ بينَ يديه، ملازمٌ له واضعٌ نفسه في خدمتِهِ وخدمةِ دينِ اللَّه الواحِد الأحد.

ولقد روى عبدُ اللَّه بن عامر عن لسانِ السيدة عائشة أم المؤمنين رضي اللَّه عنها أنَّها قالت:

ـ «بات رسولُ اللَّه أَرِقاً ذاتَ ليلةٍ. فقال:

يا ليتَ رجلاً صالحاً يحرسُني الليلة.

قالت:

ـ إذْ سَمِعْتُ صوتَ السلاح فقال:

ـ من هذا؟

قال:

ـ أنا سعدُ بن أبي وقاص. أنا أحرسُكَ يا رسول اللّه.

قالت:

ـ فنامَ رسولُ اللّه حتى سمِعْتُ غطيطَه»[1].

ولقد بشَّره الرسولُ ﷺ بالجنة لشدةِ صَلاحِهِ، وطُهر نفسِه، وعُمق إيمانه.

فقد كان بعضُ المسلمين يَجلِسونَ عند رسول اللّه ﷺ فقال:

يدخل عليكم مِن ذا البابِ رجلٌ من أهلِ الجنة.

فإذا سعدُ بن أبي وقاص يدخل.

فيا لسعادة سعد بتلك البشرى ويا لهَنائِه لتلك المنزلةِ الكبيرة التي بلغَها في نفسِ رسول اللّه ﷺ وفي الإسلام.

٧ ـ فداك أبي وأُمي

ومواقِفُ سعد البطولية يصعبُ حصرُها وَوَصْفُ

(١) الغطيط: الصوت الذي يصدره النائم عندما يكون نومه عميقاً.

فصولِها لكثرتِها وسموِّها. فهي تنبعثُ من نفسٍ صافيةٍ مؤمنة لا يُعكِّرها شك ولا يُفسِدها ظن.

فهو بطلٌ من أبطالِ المسلمين الذين ثَبَتوا لنصرةِ الدين الحنيف في كل المواقف الصعبة القاسية.

وفي يوم أُحُد برزَتْ تلكَ البطولة فظَهَرتْ قوةُ الإيمان، وعَلِمَ الناسُ من هو سعدٌ بالنسبة للرسولِ ﷺ.

ففي يومِ أُحُد حَشَدتْ قريش جيشاً ضخماً للتخلّص من النبي محمد بن عبداللّه ﷺ، وثأراً ليومِ بدر الذي ذاقتْ فيه هزيمة لن تنسى طعمَها.

وتَصدّى لهم المسلمونَ وعلى رأسِهم الرسولُ الكريم يُدافعون عن عقيدتِهم ودينِ الحق.

والتقى الفريقان. وعلا الغُبارُ يغَطّي المكان. والفرسانُ يتحركونَ ويتقاتَلونَ مثلَ أشباح، وزاد الصَّخبُ من صراخ الرجال واصطدام السلاحِ بالسلاح. وبدا أنَّ النصر سيكونُ حليفَ المسلمين.

ولكنَّ فريقاً منهم خالَف تعليماتِ رسولِ اللّه ﷺ، وتركوا مواقِعَهم قبلَ نهاية المعركة. فالتفَّ عليهم خالدُ بن الوليد ـ الذي كان في صفوفِ

المشـــركين آنذاكَ ـ واتَّجـه مســـارُ المعـــركــة ضــدَّ المسلمين.

واشتـدَّ الكَربُ عليهِم وحـوصِرَ الـرسولُ الكـريمُ وأُصيب في جبينـه الطاهـر وكُسِرَتْ أسنـانُه. وجُـرِحَتْ وجنتُه. واضطَرَب المسلمون وهم يَعتقدونَ أَنَّ النبيَّ قد مات.

وهنا التفَّ حولَ الرسول عشـرةُ أبطالٍ مخلصين لـهُ ولدينـهِ الحنيف يَفْدونَـهُ بأجسـادِهم ويدافعـون عنه بأرواحهم ومن بينهم سعد بن أبي وقاص.

وشاهَدَهُ الرسول ﷺ فقال يحثُّه على القتال:

ـ «ارم سعد.. فداك أبي وأمي».

فكان ذلكَ مبعثَ فخرٍ في نفسِ سعد، فهو الذي فداه الرسولُ الكريم بوالدَيْه، وفي ذلك يقـول علي بن أبي طالب كرَّم اللَّه وجْهَهُ:

ـ «ما سمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَفْدي أحداً بأبَوَيْه إلا سعداً. فإني سمعتُه يَوم أُحُد يقول:

ـ «ارم سعد فداكَ أبي وأمي».

كما كان سعد يُرَدِّدُ باعتزاز:

ـ «واللَّه إني لأوَّلُ رجلٍ من العرب رمى بسهمٍ في سبيل اللَّه».

٨ ـ سلاحان

وإذا كان سعد بن أبي وقاص ذا رمية صائبة برمحه وسهمه فقد اشتهر أيضاً بدعوته المستجابة.

ولذا فهو يملك سِلاحَيْن وظَّفهُما في سبيلِ اللَّه سبحانَهُ وتعالى، وفي الدعوة إلى الدينِ الحنيف... سهمه ودعاءه.

ففي مطلع صباه انصرَفَ عن اللهو إلى بَرْيِ النبال وإصلاحِ القِسيِّ، والخروجِ إلى البادية يتعلَّمُ فَنَّ الرماية. فكان من أبرعِ الرامين وأمهرِ النّبالين.

أما سلاحه الآخر وهو سرعةُ استجابةِ دعائِه فلَهُ قصصٌ كثيرةٌ رائعة.

ومن ذلك ما رواه عامِرُ بنُ سعيد فقال:

ـ رأى سعدٌ رجلاً يَسُبُّ علياً وطلحَة والزبير. فَنهاهُ فلم يَنْتَه. فقال له:

ـ إذن أدعو عليك..

فقال الرجل:

ـ أراكَ تَتَهَدَّدَنِي كأنَّك نبي.

فانصرفَ سعد وتوضَّأ وصلّى ركعَتيْن ثم رفَع يديه وقال:

ـ اللهم إنْ كنتَ تعلَمُ أَنَّ هذا الرجل قد سبَّ قوماً سبقَتْ لهم منك الحسنى، وأنه قد اسخَطَكَ سَبُّهُ إياهم. فاجعَلْه آيةً وعبرة.

فلم يمضِ وقتٌ قصير حتى خرجَتْ من إحدى الدورِ ناقةٌ نادَّة[1] لا يردُّها شيء حتى دخَلَتْ في زحام الناسِ ـ كأنَّها تبحَثُ عن شيء ـ ثم اقتحَمَت الرجلَ فأخذَتْه بينَ قوائمها وما زالَتْ تتخبَّطُه حتى مات».

هذه القصة تدُل دلالةً واضحةً على مدى عُمُق الإيمانْ في نفْسِ سعد بن أبي وقاص وطهارةِ روحِهِ الشفّافة النبيلة.

وهذه الميزة التي خصَّهُ بها اللَّه سبحانَهُ وتعالى جاءَتْ نتيجةَ دُعاءِ رسولِ اللَّه ﷺ له لكثْرَةِ حبِّه إياه.

ذلك أنَّ سعد بن أبي وقاص مَرِضَ أثناء حجَّة

(١) نادَّة: نافرة وشاردة.

الـوداع. فجاءَهُ الـرسولُ يعـوده[1]. فمسح على جبينِـهِ وقال:

ـ «اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عنـهُ البَاس، إلٰـهَ النَّـاس، ملك النـاس. أَنتَ الشّافي لا شـافِي لـه إِلَّا أَنْت. بسم اللَّه أرقيكَ من كلّ شيءٍ يؤذيك. اللَّهم أَصِح قلبَهُ وجِسْمَهُ. وَاكْشِفْ سَقَمَهُ، وأَجِبْ دَعْوَتَه».

كمـا قـال النبيُّ صلواتُ اللَّه وسـلامُـهُ عليـه في موضعٍ آخر:

ـ «اللهم سَدِّدْ سَهْمَهُ، واجِبْ دَعْوَتَهُ، وحَبّبْهُ إلى عبادك».

٩ ـ حب العطاء

ولقد عاشَ سعدُ بن أبي وقّاص زمناً طويـلاً حتى قَارَبَ الثمانينَ عاماً. وجَمَعَ خلالَ حيـاته الحـافلة مالاً كثيراً. كله عن طريق الحلال.

ولم يكُن يبخَلُ بمالِه على الفقراء والمحتـاجين.

---

(١) يعوده: يزوره أثناء مرضه.

فهو دائمُ البَذْلِ والعطاء. وكلَّما تصدَّقَ زادَ اللَّهُ تعالى في رزْقه.

وفي عام حجَّةِ الوَداع، عندَما مَرِضَ سعدٌ وكانَ أباً لابنةٍ واحدةٍ، جاءَهُ الرسولُ ﷺ عائداً كما سَبَقَ وذكرنا. ويروي سعد أنه سأله قائلاً:

ـ يا رسولَ اللَّه إني ذو مال ولا يَرِثُنِي إلا ابنة أَفَأَتَصَدَّقُ بثلثي مالي؟.

قال النبي:

ـ لا.

قلتُ:

ـ النصف؟

قال النبي

ـ لا

ـ قلت:

ـ فبثُلثه؟

قال النبي:

ـ نعم والثلثُ كثير. إنَّكَ أنْ تَذَر ورَثَتَكَ أغنياءَ خيرٌ من أنْ تَذَرَهُمْ يتكَفَّفونَ الناس. وإنَّكَ لن تُنفِقَ نَفَقَةً

تبتَغي بها وَجْه اللَّه إلاَّ أُجرْتَ بها. حتى اللُّقمة تَضَعُها في فَمِ امرأتِك».

وبعد ذلك رُزِقَ سعد بأبناء كثيرين وظلَّ على ما هُوَ عليه من حبّهِ للعطاءِ وللتَّصَدُّقِ على الفقراءِ والمحتاجين.

١٠ ـ الأسد في براثنه

واستمر سعد يُجَاهِدُ في سبيلِ اللَّه أَيَّامَ الرسول وأيام عمر.

ظلّتْ أيامُه صفحات بيضاءَ في تاريخ الفتوحات الإسلاميّة. ويَنْدُرُ أَنْ تَحدُثَ مَوْقِعةٌ أَوْ معركةٌ إلاَّ ويكونُ سعْد الفارِسَ المُجَلّي.

على أَنَّ عظمَتَه التاريخية وعبقريَّتَه الحربيّة عُرِفَتَا يومَ قرَّر الخليفةُ عمر بن الخطاب رَضي اللَّهُ عنه وَضْعَ حدٍّ لِغَدْرِ أهلِ العِراق ونَقْضِهم مواثيقَهم، وقيام الفُرْس بهَجماتٍ متواليةٍ على المسلمين تُلحِقُ بِهم أَفْدَحَ الخسائِرِ في الأرواح، وأَبلَغَ الأَضرار في العَتاد.

لذلك صمَّم الخليفةُ الفاروق على خَوْضِ معركةٍ

فاصلة يُنهي فيها ذلك الوَضْعَ القلق، ويَقْضي على نفوذِ الفرسِ نهائيّاً.

ونَادى بالمسلمين في صلاةٍ جامعةٍ. . . للشورى، وبعد أَنْ عرضَ لهُم الوضع، أَخذوا يستعرضون أسماءَ الرجال الذين يَصْلحُون لتلكَ المهِمة الجسيمة. . مهمة قيادة جيشِ المسلمين، وتوجيههِ نحو فارِس ليُحرِزَ النصر.

وصاح عبد الرحمن بن عوف:

ـ قد وجدتُه.

قال عمر:

ـ فمن هو؟

قال عبد الرحمن:

ـ الأسدُ في براثِنِه. سعدُ بن مالك الزهري. سعد بن أبي وقاص.

وأَيَّد جميعُ الحاضِرين ذلكَ الاقتراح، واستَدْعاه الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّه عنه وولّاهُ إمارةَ العِراق وقيادة الجيش الإسلامي.

وعندما جاء يودِّعهُ خاطَبَه الفاروق بكلماتٍ هي الإيمانُ السّاكنُ في النفوس. قال له:

ـ «يا سعد بن وهيب».

لا يَغُرَّنَّكَ مِن اللّه أن قيل: خالُ رسول اللّه وصاحبُه. فإنَّ اللّه ليسَ بينَه وبينَ أحَدٍ نَسَبٌ إلاَّ بطاعتِه. والناسُ شريفُهم وَوَضيعُهم في ذاتِ اللّه سواء.

اللّه ربُّهم وهم عبادُه، يَتَفَاضَلون بالعافية، ويدركون ما عندَ اللّهِ بالطاعة. فانْظُرِ الأمرَ الذي رأَيْتَ رسولَ اللّهِ ﷺ، منذ بُعِثَ إلى أَنْ فارقَنا عليه، فالزَمْهُ فإنَّه الأَمر».

١١ ـ نحو فارس

وتولّى سعد بن أبي وقاص ولايَة العراق وإمارَة الجيش. وسارَ بالمسلِمينَ هناكَ من نصرٍ إلى نصر. وبدأَتِ الفتوحاتُ تَتَوالى، وتَتَّسِعُ رقعةُ دولةِ الإسلام. وسَعْد يُرسِلُ إلى الخليفةِ عمر بن الخطاب رَضي اللّهُ عنه الكُتُبَ يَشْرَحُ فيها أحواله وأحوالَ المسلمين، ويَصِفُ لهُ الوضعَ من كل جوانِبِهِ.

وقد رأى سَعْد بناءً على نصيحةِ الخليفة أَنْ يَدعُو رستم، قائدَ جيوش كسرى، إلى الإسلام، ولكنَّه لم يُلَبّ الدعوة.

فكان لا بدَّ من المعركة.

وبعدَ مناوَشاتٍ متعدّدة، تقَرَّرَت المعركةُ في القادسية.

ومَرِضَ سعدُ بن أبي وقاص في بداية المعركة. ولم يكُنْ باستطاعتِهِ أنْ يخوضَ غِمارَها لأَنَّ القروح والدمامِلَ ملأتْ جسمَه. فجعلَ الدار التي يُقيم فيها مركز قيادته.

ووقف سعد يَخطُبُ في المسلمين، يَحثُّهُم على الجهاد. ثم صلّى صلاةَ الظهر. وبعدَ ذلك أعْطى أَمرَهُ بالهجومِ مكبّراً أربع تكبيرات:

«اللَّه أكبر... اللَّه أكبر.. اللَّه أكبر.. اللَّه أكبر...».

ثم جلسَ في شُرْفَةِ دارِهِ يرقُبُ سَيْرَ المعركة ويُوجِّهُها متحاملاً على آلامِه وقروحِه.

والتَحم الجيشان. وبدأَتْ سيوفُ المسلمينَ تَعملُ في جيش كسرى تقتيلاً وتمزيقاً وتقطيعاً.. تَقْتُلُ الكُفْر وتُمَزِّقُ الوثنية في عَبَدَةِ النار.

وكانت أعظمُ هديَّةٍ تُقدَّمُ لسعد بن أبي وقاص في تلكَ المعركة: رأس رستم قائِدِ جيوش الفرس محمولاً

على رِماحِ المسلمين.

وبعدَ القادسيّة استمرَّ الزَّحْفُ المبارَك نحو نهاوند. ثم نحو المدائن لإسقاط تاجِ كسرى. وقد غَنِمَ المسلمون غنائِمَ لا تُعَدُّ ولا تُحصى.

وبعد ذلك تَوَلّى العراق فبَنى الكوفة وثَبَّتَ قواعدَ الإسلامِ في تلكَ الديارِ الواسعة.

١٢ ـ الفتنة الكبرى

وعندما وقعت الفتنة الكبرى بين المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي اللّه عنه.. بين الخليفة الجديد علي بن أبي طالب كرَّم اللّهُ وجهه، وبينَ معاوية بن أبي سفيان والي الشام، حَزنَ سعدُ بن أبي وقاص حزناً شديداً، فانْزَوَى يرقُبُ ما يَجْري بقلبٍ كسير، وعيونٍ تَفيضُ بالدَّمع، وهو يَجِدُ نفسَه عاجزاً عن إيقافها.

فاعتزلَ الناسَ، وأقامَ بينَ إبلِه يَتأَمَّلُ ويستَغْفِرُ اللّه.

وعَزَّ على ابنه عمر أنْ يَراه منزوياً وهو البطلُ

الـذي فَتَح بـلادَ فارس، وحـارَبَ مع الـرسول ﷺ في جميع المعارك. ووجَدَهُ أحق بالخـلافة من المتقـاتلَيْن لأن الخَليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّه عنه اختارَهُ مع السّتّة المقترحين لخلافتِهِ فقال لأبيه سعد:

ـ «الناس يتنازَعون الإمارة وأنت ها هنا؟

فقال سعد:

ـ «يا بني. إني سمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول:

ـ إنَّ اللَّه يُحِبُّ العبدَ الغنيَّ الخفيَّ التقيَّ».

وظـل سعـد في نَـظَر قسْمٍ كبيـر من المسلمين الـرَّجـلَ المنـاسِبَ لتـولّي الخـلافـة، وحَسْم النـزاع، والقَضاءِ على الفتنة الكبرى.

وعنـدما جـاءَهُ ابنُ أخيـه هـاشم بن عُتْبـة بن أبي وقاص يقول له:

ـ يا عم. ها هنا مائـةُ ألف سَيْف، يَرَوْنَـكَ أَحَقَّ الناس بهذا الأمر.

فيجيبه سعد:

ـ أريد من مائة ألف سيفاً واحـداً إذا ضربتُ بـه المؤمن لم يَصْنَعْ شيئاً، وإذا ضَرَبْتُ به الكافر قَطَع».

وهكـذا نَعْلَم من كـانَ سعـد بن أبي وقّـاص من خلالِ تلكَ الإجابة. . زُهْدُ في المناصب. . . وحِرْصُ على المسلمين. . وحُبُّ لـدين اللَّه. . ورَفْضٌ لقتـالِ مسلمٍ مع مسلم.

١٣ ـ موت سعد

وعـاش سعدُ بن أبي وقـاص طويـلاً، وَرَزَقَهُ اللَّهُ مالاً كثيراً وما كانَ كلُّ ذلك لِيفْتِنَه عن دينِه ويُنْسِيَهُ ورَعَهُ وتُقاه.

وعنـدما أزفَتْ سـاعـةُ المـوت وقـد جـاوَزَ سعـد الثمانينَ من العمر، كـان في داره في العقيق بالمـدينةِ المنـورة، وأَحَبَّ أن يَلْقى ربَّـه وهــو يَحمِـلُ أجمـلَ ذكرَى. .

ذَكْرى تَجْمَعُ الوَرَعَ والجِهَادَ والإيمان. . .

فأشارَ إلى خزانةٍ ليفتحوها. . ولمّا فَتحوها وجدوا جُبَّةً قديمة قد بَلِيَتْ وتَقَطَّعَتْ. وأمر أهلَه أَنْ يُكفِّنُوه فيها وقال :

ـ «لقـد لقيتُ المشـركينَ فيهـا يـومَ بـدر. ولقـد

ادّخَرْتُها لهذا اليوم. وأريد أن ألْقَى بها اللّه عزَّ وجَلَّ».

* * *

وانْطَوى علمٌ من أعلام الإسلام. وعادَ إلى الرفيق الأعلى بطلٌ من أبطال الجهاد كانَ عَموداً ثابتاً من الأَعمدةِ التي قامَ عليها صَرْحُ الإسلامِ العظيم..

ودُفِنَ في المدينةِ المنورة في البقيع مقرِّ شهداءِ أُحُدٍ الأَبرار.

المصادر والمراجع

١ ـ السيرة النبوية	ابن هشام
٢ ـ البداية والنهاية	ابن كثير
٣ ـ صحيح البخاري	البخاري
٤ ـ أسد الغابة	ابن الأثير
٥ ـ رجال حول الرسول	خالد محمد خالد
٦ ـ القادسية	أحمد عادل كمال
٧ ـ الطريق إلى المدائن	أحمد عادل كمال
٨ ـ سقوط المدائن	أحمد عادل كمال

الفهرس

سِلسِلة أعمِدة الإسلام

١ ـ أبو بكر الصدِّيق .
٢ ـ عمر بن الخطَّاب .
٣ ـ عثمان بن عفَّان .
٤ ـ عليّ بن أبي طالب .
٥ ـ عمر بن عبد العزيز .
٦ ـ سعد بن أبي وقَّاص .
٧ ـ طلحة بن عبيد الله .
٨ ـ الزبير بن العوَّام .
٩ ـ أبو عبيدة عامر بن الجرَّاح .
١٠ ـ عبد الرحمن بن عوف .
١١ ـ سعيد بن زيد .
١٢ ـ حمزة بن عبد المطلب .
١٣ ـ زيد بن حارثة .
١٤ ـ سالم مولى أبي حذيفة .
١٥ ـ عبد الله بن جحش .
١٦ ـ عتبة بن غزوان .
١٧ ـ عبد الله بن مسعود .
١٨ ـ المقداد بن عمرو .
١٩ ـ خبَّاب بن الأرتّ .
٢٠ ـ صهيب بن سنان الرومي .
٢١ ـ بلال بن رباح الحبشي .
٢٢ ـ عمار بن ياسر .
٢٣ ـ زيد بن الخطَّاب .
٢٤ ـ عثمان بن مظعون .
٢٥ ـ أبو سبرة بن أبي رهم الأسلمي .
٢٦ ـ سعد بن معاذ .
٢٧ ـ عبَّاد بن بشر .
٢٨ ـ محمد بن مسلمة .
٢٩ ـ عاصم بن ثابت .
٣٠ ـ خالد بن زيد .
٣١ ـ أُبي بن كعب .
٣٢ ـ عبد الله بن رواحة .
٣٣ ـ بشير بن سعد .
٣٤ ـ عبادة بن الصامت .
٣٥ ـ معاذ بن جبل .
٣٦ ـ أُسيد بن حضير .
٣٧ ـ العباس بن عبد المطلب .
٣٨ ـ جعفر بن أبي طالب .
٣٩ ـ أبو سفيان بن الحارث .
٤٠ ـ أسامة بن زيد .
٤١ ـ سلمان الفارسي .
٤٢ ـ خالد بن سعيد بن العاص .
٤٣ ـ أبو موسى الأشعري .
٤٤ ـ شرحبيل ابن حسنة .
٤٥ ـ عبد الله بن عمر بن الخطّاب .
٤٦ ـ عبد الله بن حذافة .
٤٧ ـ عمير بن وهب الجمحي .
٤٨ ـ أبو ذر الغفاري .
٤٩ ـ الطفيل بن عمرو .
٥٠ ـ خالد بن الوليد .
٥١ ـ عمرو بن العاص .
٥٢ ـ سعيد بن عامر الجمحي .
٥٣ ـ نعيم بن مسعود .
٥٤ ـ المغيرة بن شعبة .
٥٥ ـ سلمةَ بن الأكوع .
٥٦ ـ أبو هريرة الدوسي .
٥٧ ـ حذيفة بن اليمان .
٥٨ ـ البراء بن مالك .
٥٩ ـ عبد الله بن سلام .
٦٠ ـ سماك بن خرشة .
٦١ ـ عياض بن غَنْم .
٦٢ ـ عمرو بن الجموح .
٦٣ ـ عمير بن سعد .
٦٤ ـ غالب بن عبد الله .
٦٥ ـ فرات بن حيّان .
٦٦ ـ القعقاع بن عمرو .
٦٧ ـ يزيد بن أبي سفيان .
٦٨ ـ عكرمة بن أبي جهل .
٦٩ ـ حكيم بن حزام .
٧٠ ـ خُبيب بن عديّ .
٧١ ـ الربيع بن زياد .
٧٢ ـ سراقة بن مالك .
٧٣ ـ عبد الله بن الزبير .
٧٤ ـ أبو العاص بن الربيع .
٧٥ ـ زيد بن سهل .
٧٦ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر .
٧٧ ـ مصعب بن عمير .
٧٨ ـ عبد الله بن العباس .
٧٩ ـ عديّ بن حاتم .
٨٠ ـ زيد بن ثابت الأنصاري .
٨١ ـ حبيب بن زيد .
٨٢ ـ ثمامة بن أثال .
٨٣ ـ ثابت بن قيس .
٨٤ ـ أنس بن مالك .
٨٥ ـ سهيل بن عمرو .
٨٦ ـ ضرار بن الأزور .
٨٧ ـ عبد الله بن عمرو بن حر
٨٨ ـ عمرو بن معديكرب .
٨٩ ـ المثنَّى بن حارثة .
٩٠ ـ النعمان بن مقرِّن .
٩١ ـ عويمر بن مالك (أبو الد
٩٢ ـ جرير بن عبد الله البجلي
٩٣ ـ سعد بن عُبادة .
٩٤ ـ مجزأة بن ثور .
٩٥ ـ الأقرع بن حابس .